التعاون على الخير

الحمدُ لله، ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد، فإن التَّعَاوُنَ على البر والتقوى من أفضل القُرُبَات التي يتقربُ بها المسلمُ لله تعالى. من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِرَ نفسي وإخواني الكرام بفضل التعاون ومنزلته في الإسلام.

معنى التعاون:

التَّعَاوُنُ :الْمُسَاعَدَة على الْخَيْرِ. (معجم اللغة العربية المعاصرة جـ٢صـ١٥٨٠)

التعاون ضرورة اجتماعية :

يعتبرُ التَّعَاوُنُ على الخير بين أفرد المجتمع ضرورةٌ إنسانيةٌ واجتماعيةٌ، لا يستطيع الناسُ الاستغناء عنها.

قال عبدُ الرحمن بنُ خَلْدُون(رحمه الله تعالى):

إنَّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريٌ، ويعبّر الحكماءُ عن هذا بقولهم: الإنسانُ مدنيّ بالطّبع أي لا بدّ له من الاجتماع وبيانه أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلّا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلّا أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفّية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم واحد من الحنطة مثلا فلا يحصل إلّا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثّلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلّا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله حبّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الزّراعة والحصاد والدّراس الّذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن تفي بذلك كلّه أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ له من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كلّ منهم أيضا في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه؛ لأنّ الله سبحانه لمّا ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسّم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان، فقدرة الفرس مثلا، أعظم بكثير من قدرة الإنسان، وكذا قدرة الحمار والثّور والأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولمّا كان العدوان طبيعيّا في الحيوان جعل لكلّ واحد منها عضوا يختصّ بمدافعة ما يصل إليه من عادية غيره، وجعل للإنسان عوضا عن ذلك كلّه الفكر واليد، فاليد مهيّأة للصّنائع بخدمة الفكر، والصّنائع تحصّل له الآلات الّتي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر

الحيوانات للدّفاع. فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيّما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة، ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدّة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصّنائع والمواعين المعدّة لها، فلا بدّ في ذلك كلّه من التّعاون عليه بأبناء جنسه، وما لم يكن ذلك التّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمّ حياته لما ركّبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السّلاح، فيكون فريسة حيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر، وإذا كان التّعاون حصّل له القوت للغذاء والسّلاح للدّفاع، وتمّت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فإذن هذا الاجتماع ضروريّ للنّوع الإنسانيّ، وإلّا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إيّاهم. (المقدمة لابن خلدون صـ٥٤:٥٥)

التعاون وصية رب العالمين:

(١) قال سبحانه:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢)

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله):يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُعَاوَنَةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَهُوَ الْبِرُّ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَهُوَ التَّقْوَى وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّنَاصُرِ عَلَى الْبَاطِلِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ. (تفسير ابن كثير جـ٥صـ١٨)

قَال الإمامُ ابْنُ جَرِيرِ الطبري(رحمه الله):الْإِثْمُ: تَرْكُ مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِفِعْلِهِ، وَالْعُدْوَانُ: مُجاوزةُ مَا حَدّ اللَّهُ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَفَرَضَ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي غَيْرِكُمْ. (تفسير الطبري جـ٩صـ٤٩٠)

(٢) وقال جَلَّ شأنه:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)

قال الإمامُ القرطبيُّ(رحمه الله):اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالْأُلْفَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَةِ فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هَلَكَةٌ وَالْجَمَاعَةَ نَجَاةٌ. وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْمُبَارَكِ حَيْثُ قَالَ:إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا * مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى. (تفسير القرطبي جـ٤صـ١٦٨)

نبينا -ﷺ- يحثنا على التعاون:

(١) روى الشيخانِ عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (البخاري حديث: ٢٤٤٦ /مسلم حديث ٢٥٨٥)

(٢) روى مسلمٌ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ(أَيْ دَعَا بَعْضُهُ بَعْضًا إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي ذَلِكَ) بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. (مسلم حديث: ٢٥٨٦)

قال الإمامُ النووي(رحمه الله):هَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ. (مسلم بشرح النووي جـ٨صـ٣٨٥)

(٣) روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. (مسلم حديث: ٢٦٩٩)

(٤) روى الشيخانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ

(يتركه إلى الظلم)، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. »(البخاري حديث: ٢٤٤٢/مسلم حديث ٢٥٨٠)

(٥) روى الشيخانِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نُخْرِجَ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ(البنت في أول الحيض، والتي لم تتزوج)، وَالْحُيَّضَ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: «لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»(البخاري حديث: ٣٥١/مسلم حديث: ٨٩٠)

أقوال السلف في التعاون:

(١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ. (الإخوان لابن أبي الدنيا صـ٨٤ رقم:٣٥)

(٢) قَالَ عطاءُ بنُ أبي رباح: تَفَقَّدُوا إِخْوَانَكُمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَإِنْ كَانُوا مَرْضَى فَعُودُوهُمْ أَوْ مَشَاغِيلَ فَأَعِينُوهُمْ أَوْ كانوا نسوا فذكروهم. (إحياء علوم الدين للغزالي جـ٢صـ١٧٦)

(٣) قَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ: أَوْصِنِي قَالَ: «اصْحَبْ أَهْلَ التَّقْوَى فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ مُؤْنَةً وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً» (الإخوان لابن أبي الدنيا صـ٩٥ رقم:٤٣)

(٤) قَالَ يُونُسُ الْحَذَّاءُ سُئِلَ أَبَا حَمْزَةَ الثَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْإِخْوَانِ، فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْعَامِلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الْمُتَعَاوِنُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ دُورُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ»(الإخوان لابن أبي الدنيا صـ٩٩ رقم:٤٩)

(٥) قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: مَنْ اتَّخَذَ إِخْوَانًا كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. (أدب الدنيا والدين للماوردي صـ١٦١)
(٦) قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ، عَضُدٌ وَسَاعِدٌ. (أدب الدنيا والدين للماوردي صـ١٦١)
(٧) قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ جَادَ لَكَ بِمَوَدَّتِهِ، فَقَدْ جَعَلَكَ عَدِيلَ نَفْسِهِ. فَأَوَّلُ حُقُوقِهِ اعْتِقَادُ مَوَدَّتِهِ ثُمَّ إِينَاسُهُ بِالِانْبِسَاطِ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، ثُمَّ نُصْحُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ تَخْفِيفُ الْأَثْقَالِ عَنْهُ، ثُمَّ مُعَاوَنَتُهُ فِيمَا يَنُوبُهُ مِنْ حَادِثَةٍ، أَوْ يَنَالُهُ مِنْ نَكْبَةٍ. فَإِنَّ مُرَاقَبَتَهُ فِي الظَّاهِرِ نِفَاقٌ، وَتَرْكَهُ فِي الشِّدَّةِ لُؤْمٌ. (أدب الدنيا والدين للماوردي صـ١٧٦)
(٨) قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:العقلُ والتجربةُ في التعاون بمنزلة الماء والأرض، لا يطيق أحدهما دون الآخر إنباتاً. (ربيع الأبرار. للزمخشري جـ٣صـ٤٤٥ رقم:٣٢)
(٩) قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:فضيلةُ الفلاحين التعاون بالأعمال، وفضيلةُ التجار التعاون بالأموال، وفضيلةُ الملوك التعاون بالآراء والسياسة، وفضيلةُ العلماء التعاون بالحكم الإلهية، والفضيلة المشتركة بين الأصناف الأربعة هي التعاون على ما يصلح به المعاش والمعاد. (الكشكول . لبهاء الدين الهمذاني . جـ٢صـ٢٨٩)
(١٠) قال أحمد شوقي:
إِنَّ التَعاوُنَ قُوَّةٌ عُلْوِيَّةٌ * تَبني الرِجالَ وَتُبدِعُ الأَشياءَ.
(صيد الأفكار. لحسين المهدي . صـ٣٠٣)
(١١) قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:
هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ * وَهَمِّي مِنْ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدُ. (أدب الدنيا والدين للماوردي صـ١٦١)

نبينا-ﷺ- هو القدوة في التعاون:

(١) روى الشيخانِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ(وهي تتحدث عن أول نزول الوحي على النبي-ﷺ- وبعد عودته من غَارِ حِرَاءٍ):
فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ(شدة الخوف)، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا(أيْ لا يضيعك)، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(أي تُنْفِقُ عَلَى الضَّعِيفِ وَالْيَتِيمِ) ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ(تتبرع بالمال لمن عُدِمَه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ(أي تكرمه وتقدم له طعام وشراب)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ(هي ما ينزل بالإنسان من الشدائد). (البخاري حديث:٣/مسلم حديث:١٦٠)

(٢) روى البخاري عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. (البخاري حديث ٦٧٦)

(٣) روى الشيخانِ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُبِرَجَزِ(أيْ يردد شعر) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَة ":

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. (البخاري حديث: ٣٠٣٤/مسلم حديث: ١٨٠٣)

(٤) روى مسلمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا(أَيْ مُتَعَرِّضًا لِشَيْءٍ يَدْفَعُ به حَاجَته)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ(أي زيادة ما يركب على ظهره من الدواب)، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ(أي من لا دابة) لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. (مسلم حديث: ١٧٢٨)

قال الإمامُ النووي(رحمه الله):فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْجُودِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرُّفْقَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِ الْأَصْحَابِ. (مسلم بشرح النووي جـ٦صـ٢٧٥)

(٥) روى أحمدُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. (حديث حسن)(مسند أحمد جـ١صـ٥٣٢حديث: ٥٠٤)

صور من تعاون الصحابة:

(١) روى الشيخانِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا(أَيْ فَنِيَ زَادهمْ) فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ . (البخاري حديث ٢٤٨٦ / مسلم حديث ٢٥٠٠)

(٢) روى البخاريُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِي قَالَ(وهو يتحدث عن بِنَاءِ مَسْجِدِ النبي -ﷺ-:كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ:

«وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ "(البخاري حديث: ٤٤٧)

(٣) روى أبو نُعَيْم عَنْ مَالِكٍ الدَّارَانِيُّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ فَقَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ تَلَبَّثْ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ، حَتَّى أَنْفَذَهَا. فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَخْبَرَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى مُعَاذٍ وَتَلَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ وَوَصَلَهُ، تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا(أي أعطاهما) ، وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ: «إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. » (حلية الأولياء لأبي نعيم جـ١ صـ٢٣٧)

تعاون عجيب :

روى البخاريُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ . (البخاري حديث ٣٧٨١)

التعاون لدفع الشر عن الناس:

قال سبحانه عن ذِي الْقَرْنَيْنِ:(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا *آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف:٩٣:٩٨)

في هذه الآيات الكريمة صورة من صور التعاون على الخير ودفع الشر عن الناس، والتصدي للمفسدين في الأرض.

التعاون في مجال الدعوة إلى الله:

حَثَّ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَمُؤَازَرَتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) (الصف: ١٤) أَيْ: مَنْ يُسَاعِدُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) (الصف: ١٤)وَكَانَ ذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: النَّاصِرَةُ. فَسُمُّوا النَّصَارَى بِذَلِكَ. (البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ صـ ٤٨٩)

التعاون على إقامة العبادات:

قال موسى الأشعري ، رضي الله عنه، لبعض أصحابه:

" انظروا رحمكم الله واعقلوا وأحكموا الصلاة واتقوا الله فيها وتعاونوا عليها وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنسيان، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أمركم أن تعاونوا عَلَى البر والتقوى ، والصلاة أفضل البر. (طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى جـ١ صـ ٣٥٤)

التعاون على قيام الليل:

كان أهلُ البيت الواحد من سلفنا الصالح يتعاونون على قيام الليل.

(١) روى البخاريُّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِي قَالَ: تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ(أيْ نزلتُ ضيفاً عليه)، سَبْعًا، فَكَانَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ يَعْتَقِبُونَ اللَّيْلَ أَثْلَاثًا: يُصَلِّي هَذَا، ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا. (البخاري حديث: ٥٤٤١)

(٢) روى أبو نُعَيْم عَنْ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، وَأَخُوهُ عَلِيٌّ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَفْضُلُ عَلَيْهِ، وَكَانَا يَقْرَأَانِ الْقُرْآنَ وَأُمُّهُمَا، يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْعِبَادَةِ بِاللَّيْلِ، لَا يَنَامُونَ، وَبِالنَّهَارِ لَا يُفْطِرُونَ، فَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّهُمَا تَعَاوَنَا عَلَى الْقِيَامِ وَالصِّيَامِ عَنْهُمَا وَعَنْ أُمِّهِمَا، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ قَامَ الْحَسَنُ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْهُمَا، وَكَانَ يُقَالُ لِلْحَسَنِ: حَيَّةَ الْوَادِي – يَعْنِي لَا يَنَامُ بِاللَّيْلِ –. (انظر حلية الأولياء جـ٧صـ ٣٢٨)

التعاون في طلب العلم:

روى الشيخانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: لاَ أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ. (البخاري حديث: ٨٩ /مسلم حديث: ١٤٧٩)

التعاون بين المسئولين:

ينبغي أن يتعاون جميع الأفراد الذين يجمعهم عملٌ واحدٌ ، من أجل انجاز هذا العمل على الوجه المشروع، الذي يرضي الله تعالى، وهَذا هو المقصود من نصيحة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبَي مُوسَى الأشعري حين بَعَثَهما إِلَى الْيَمَنِ.

روى الشيخانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَنِ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا» (البخاري حديث: ٣٠٣٨ /مسلم حديث: ١٧٣٣)

التعاون بين الدول الإسلامية:

ما أحوج الدول الإسلامية هذه الأيام إلى تحقيق التعاون فيما بينها في جميع المجالات: الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والعسكرية. إن اللهَ تعالى قد وهبَ للبلاد الإسلامية نِعَماً كثيرة، منها: الماء العذب، والتربة الزراعية الخصبة، والبترول، والمعادن، والأيدي العاملة، والمناخ المتنوع، والموقع الجغرافي الممتاز. وهذه الخيرات الرَّبانية قد لا تتوفر جميعها في غير البلاد الإسلامية. ومن العجيب أن نرى بلاداً غير إسلامية قد سبقتنا إلى تحقيق التعاون فيما بينها، كالدول الأوربية ، التي قامت بتوحيد عُمْلَتها المالية، وأقامت سوقاً اقتصادية مشتركة، وأزالت الحواجز الجمركية فيما بينها، وأقامت معاهدة للدفاع المشترك ضد أي اعتداء على أي دولة أوربية. وقد ظهر هذا التعاون في أماكن أخرى من العالم.

إن الدول الإسلامية أولى من هذه الدول بتحقيق هذا التعاون ، وذلك لأن ديننا الإسلامي يدعو إلى الوحدة والمودة والإخاء، ويدعو المؤمنين جميعاً إلى التعاون على الخير في جميع مجالات الحياة. قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢)

فوائد التعاون:

(١) التعاونُ يساعدُ في إنجاز الأعمال الكبيرة الّتي لا يقدر عليها الأفراد.

(٢) التعاونُ يجعلُ الإنسان يشعر بالقوّة وينزعُ عنه الشعور بالعجز.

(٣) التعاونُ دليلُ حبّ الخير للآخرين.

(٤) التعاونُ يساعدُ على مواجهة الأخطار المحيطة بالإنسان .

(٥) التعاونُ ثمرةٌ من ثمرات الإيمان، فضلا عن كونه حاجة ماسَّة للإنسان.

(٦) التعاونُ أساسُ التّقدّم والإنتاج والنّجاح والتّفوّق.

(٧) التعاونُ من ثمرات الأخوّة الإسلاميّة.

(٨) التعاونُ يؤدي إلى الشّعور بالمساواة في الإنسانيّة.

(٩) التعاونُ ينزعُ الحقد من القلوب الضّعيفة ويزيل أسباب الحسد.

(١٠) التعاونُ طريقٌ موصّل إلى محبّة الله ورضاه وجنّته.

(١١) التعاونُ سببٌ من أهمّ أسباب الألفة والمحبّة بين النّاس.

(١٢) التعاونُ يحقّقُ سنّة الله تعالى في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء.

(موسوعة نضرة النعيم جـ٣صـ١٠٢٧)

أسألُ الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به طلاب العلم. وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين .

وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.